الحافظ
أبو نُعَيم الأَصْفَهَانى

الفقيه المحدث الصوفى المؤرخ

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٧

الاخراج الفنى : مراد نسيم

« ربنـــا آتنا من لدنك رحمـــة وهيىء لنا من أمرنا رشـــدا » .

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا انك أنت العليم الحكيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ٠ وبعد ٠٠

فى أمسية من أمسيات رمضان المعظم ، وقعت يدى على كتاب بعنوان « أحاسن المحاسن » لمؤلفه الامام أبى اسحاق ابراهيم الرقى المتوفى سنة ٧٠٣ هـ ، فأخذت أتصفحه بعد قراءة مقدمته التى أشار فيها الأستاذ محقق الكتاب الى التعريف بمؤلفه ، وذكر بما يجب أن نقدمه لشبابنا فى هذه الأيام التى انتشر فيها الالحاد وشاع الفساد من مثل كريمة تتمثل فى رجال تاريخنا الأفاضل ، من علماء أجلاء وعاملين أتقياء وصالحين أوفياء ؛ كانوا خير سلف لهذا الخلف الذى اختلت معاييره ، وضاق ذرعا بأمجاده فخلط الجد بالهزل واستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ، وجرى وراء كل ناعق ، لا يميز بين الغث والسمين ولا يفرق بين الحق والباطل ، لأنه لم يتخذ له زادا خيرا يقيه عثرات الطريق ويوضح له مواضع أقدامه فى مواطن الشبهات وظلمات الشكوك ، وهكذا قضى علينا أن نتخلف حين تخلى الشباب عن كفاحه النبيل لأنه لم يقرأ تاريخه كما يجب ،

فغفل عن مناهج القدوة ، علما بأن « الصفات الخلقية والنفسية والروحية هى رأس مال الشعوب ، وهى المدخرات العظمى التى تصنع الأمم وتدفع بالركب البشرى الى غاياته العليا ، والناظر فى سير السلف الصالحين والعارفين من أمتنا يرى كيف أن هذه المثل والمبادىء كانت سببا مباشرا لانتفاضات صريحة مشهودة ومشهورة فى التاريخ الاسلامى ، ولم يكن لهم من النفوذ والقوة الا ايمان هو من أعلى صور الايمان ، ايمان جاد متقد حى يرتكز على الشوق والمحبة ، انه ايمان يطلق فى قلوب أتباعه الشعلة المتوهجة المتطلعة دائما الى الله ٠٠ »

لقد كان ايمان أولئك المتقدمين ايمانا ايجابيا بصيرا ، عرف أصحابه أن جهاد النفوس يصل بأصحابه الى أقصى درجات الكمال الروحى ، وأن بناء الدول طريقه بناء الأفراد وتربيتهم تربية مثالية خلقية ، وهكذا فعل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى بدء الدعوة ، فقد مكث فى مكة مبعوثا قبل الهجرة ثلاث عشرة سنة يعد النفوس ويوجه القلوب ويربى الارادة ويصقل الأرواح ، ثم انطلقت هذه الطاقات الايمانية والاشراقات الروحية فى كون الله الواسع ، تنشر اشعاعاتها التى أنارت الدنيا ، وقوضت الظلم وأزهقت الباطل وصنعت المعجزات وشيدت دولة الاسلام العظمى فى فترة من الزمن قياسية على هدى من الله وبصيرة ٠

لقد أخذ الكتاب يعرض علينا نماذج خلقية رفيعة ، تتجلى فى الشخصيات الكريمة التى وهبت نفسها لله ، ونذرت أرواحها للدفاع عن الحق والجهاد فى سبيله ، وقدست الحق ، وازدانت بالشمائل النبيلة والمثل الرفيعة والأخلاق الفاضلة والشجاعة النادرة التى نحتاج اليها اليوم وغدا فى نضالنا وجهادنا لاعادة بناء أمتنا واعدادها لدورها التاريخى الذى كانت قائمة به من قبل ٠

ولاشك أن تخلفنا الراهن وتأخرنا عن القيام بدورنا الذى نحن

أحق به وأهله ، كان من أسبابه الجهل برجال تاريخنا وسـيرهم وأخبارهم ، مما أوجد جفوة بل فجوة بين الماضى والحاضـر ، فانقطع ما بينهما من عطاء ومد وخير ٠

لقد مضى كتاب « أحاسن المحاسن » يقول لنا فى مقدمته : « يجب أن نحمى شبابنا ونزوده بالايمان ونحصنه بالأخلاق نحليه بكمال الروح والمثاليات والفضائل ، ونصل حاضره بماضيه ونربطه بسيرة أجداده ٠٠ حتى يولى الالحاد مدبرا منهزما ٠٠ يجب أن يشيع الروح المؤمن الطاهر القوى فى حياتنا ووجودنا وأن نجعله مادة فى معاهدنا ومادرسنا ونورا فى صحفنا وكتبنا واذاعاتنا مهذبا منقحا مصححا مصفى ، حينئذ نظفر برضوان الله وسيادة الحياة ، وتمتلىء أيدينا بقوة المؤمنين ، ويتحقق فينا قول ربنا سبحانه : ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين » ـ آل عمران ١٣٩ ٠

وربما يرد ذلك على تساؤل حول حقيقة التصوف ودوره ، فان التصوف الحقيقى ايجابية رائعة وجهاد متواصـل ومثالية عظيمة ، نشهدها فى زهد العلماء وتواضع الكبراء ، ونشهدها فى صدق الأحوال واخلاص الرجال وتفانى الأبطال ، ونراها فى حق التقوى وحلاوة المعرفة وقوة اليقين وجلال المشاهدة ، ونلمسها فى حرارة الشوق الى الله والاقبال عليه ، وفى مواقف الخوف والرجاء والمراقبة والمحاسبة والتلذذ بالطاعة والمداومة عليها والصبر على مافيها من نصب وسهر ، وفى العزوف عن الشهوات والبعد عن مواطن الشبهات ، وفى غير ذلك مما تحفل به مقامات التصوف وأحواله ، وتتحدث به أخلاقه وآدابه ، مما نرى أمثلة منها فى هذا الكتاب الذى انتخب نماذجه الطيبة من كتاب « صفة الصـفوة » لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ، وهو بدوره اسـتمد كتابه من « حلية الأولياء » لأبى نعيم الأصفهانى ٠٠

لقد شوقنى ذلك الى التعرف على الأصل والتعريف بصاحبه ،

حيث انه كان منبعا فياضا لمن جاء بعده من العلماء الفضلاء ، وأنار الطريق ليسير الناس على هدى وبصيرة حسبما أشار الحق ـ سبحانه ـ لعاشقى طريق الحق على لسان سيد الخلق « قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين » ـ يوسف ١٠٨ ـ

ولقد أصاب الأستاذ المحقق الشيخ محمد علوى المالكى لكتاب « أحاسن المحاسن » كبد الحقيقة بمقدمته تلك ، فما أحوجنا الى ترسم خطا من جاهدوا فى الله حق جهاده وقدموا بمجهوداتهم المشكورة صورة صحيحة للاسلام ، وأسهموا بأعمالهم الباقية وسيرهم العاطرة فى تحقيق معنى قوله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ـ آل عمران ١١٠ ـ

ويبرز من بين هؤلاء أبو نعيم الأصفهانى الفقيه المحدث الصوفى المؤرخ وآثاره خير شاهد على ذلك ٠

وأبو نعيم نتاج طيب للبيئة الاسلامية الجديدة التى صهر أبناؤها فى بوتقة الاسلام ، فاتحدت عناصرها المختلفة وامتزجت دماؤها العربية وغير العربية ، فنشأ من خلال ذلك نشء جديد أثرى الاسلام بعقل خصيب وخلق قويم وايمان قوى ، زكاه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله حين أشاد بأبناء الاسلام الجدد الذين يحملون رايته فى فارس ، ويتفانون فى خدمته بقوله « لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من فارس » ٠

وقد نسى المسلمون فى ظل الاسلام أجناسهم وتركوا عصبيتهم وأوطانهم حين أصبح الاسلام وطن الجميع ، به يحيون وفى ظله يموتون ولأجله يعملون وبعلومه يشتغلون ، لقد شعروا فيه بالعزة الحقيقية ، وأدركوا قيمة الكرامة الانسانية ، وذاقوا به لذة المعرفة والشوق الى خالق الوجود ، وأصبحت الحياة فى نظرهم معبرا الى حياة أفضل وسعادة خالدة ونعيم لا ينفد ، وأن لوجود الانسان

فيها هدفا كريما وغاية سامية غير ما يتفانى فيه الناس ويتعادون ويشعلون فى سبيل تحقيقه الحروب الدامية المدمرة المرعبة ..

فى ظل الاسلام الوارف بالمثل كان أبو نعيم عالما من العلماء الأفاضل يرفع بجده واخلاصه لواء العلم والايمان ، وينشر فضل هذا الدين بما آتاه الله من نعمة الحكمة ونور المعرفة ، حتى قدم للمسلمين الكثير الطيب النافع الذى مازالت الأجيال الاسلامية المتعاقبة تنتفع بجناه وتعيش فى بركته .

قال الامام الراحل الدكتور عبد الحليم محمود فى بعض كتبه : « لابد ـ ونحن فى هذه اليقظة الاسلامية المستأنفة أن ننبه الى ائمتنا ، وأن نبحث عن آرائهم الفكرية التى تنهل من معين الكتاب والسنة ، والتى لها مكانتها فى الفكر التشريعى العالمى . وشىء آخر يدعونا الى العناية بهم ، ذلك هو سلوكهم الأخلاقى المثالى الذى يرتفع الى القمم العوالى من مكارم الأخلاق . انهم نماذج ممتازة للانسانية فى سموها وللشباب الذى يجب أن يجد القدوة وأن يسير على هدى من السلوك والذى يعمل بالحق ويجاهد فى سبيله .. وفى تراثنا الاسلامى الكثير من أئمة السلوك ـ وهم فى حاجة الى البحث عن آثارهم فى مختلف مظانه حتى نكون عنهم صورة كاملة الوضوح»(١) .

ان كثيرا من الناس يدخلون الحياة ويخرجون منها كما يدخلون ، ولكن القليل جدا منهم يخرجون منها وقد تركوا فيها آثارا باقية خالدة تشهد بأنهم قد فهموا معنى الحياة وأدركوا قيمة الزمن . تعلموا وانتفعوا بما علموا ، فأصبحوا كالأرض الجيدة الخصبة التى جادها المطر فأينع فيها الثمر . وقليل من هذا القليل الذى يعرف هدفه الذى خلق من أجله فيرمى بقصده اليه ولا يحيد قيد شعرة عنه ، يعمر أوقاته بالطيب الصالح الذى يزكو مع الأيام

---

(١) الليث بن سعد ص ٢٦ .

ويتضاعف ثمره على مرور الأوقات والأزمان · ومن هذا القليل كان الأصفهانى أبو نعيم ، الذى شغل نفسه بالعلم النافع واعتنى برجال نبه الأذهان اليهم وعطر الدنيا بتاريخهم وسيرهم وأرشد الى الاقتداء بهم والسير على منهاجهم ··

ولئن كان قد نبه الى غيره فهو أحرى أن ينبه اليه ، فقد دل على خير فليكن له منه أوفى نصيب ، والبار أحق بأن يبر ، وله فى الأخرة بعد ذلك من الله المثوبة وحسن الجزاء ان شاء الله ·

وانى لأرجو أن يوفقنى الله تعالى فيما أكتب عنه راجيا من الله أن يجعل ما أسطره فى ميزان أعمالى حسنات يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ·

هذا وبالله التوفيق ،،

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى
غرة شعبان ١٤٠٦ هـ

عطـاء البيئـة

أصـــــبهان

جاء فى دائرة معارف الشعب : وأصبهان مدينة تقع فى العراق العجمى ، وهى على نهر « زندروز » من جهة الشمال على بعد مائتين وعشرة أميال من طهران جنوبا ·

وكان أهلها عموما متعلمين ، وكان كل واحـــد منهم تقريبا يحسن القراءة والكتابة ، بل ان أصحاب الدكاكين والصناع كانوا يحسنون نظم الشعر ·

وقال « ابن بطوطة » فى وصفهم : انهم حسان الصورة ، ألوانهم بيض زاهرة مشوبة بحمرة ، والغالب عليهم الشجاعة والنخوة ، وفيهم كرم وتنافس عظيم فى الأطعمة والضيافة ، وتؤثر عنهم فى ذلك أخبار غريبة ·

وقال « القزوينى » : انهم أهل حذق فى العلوم والصناعة ·

هذه مقدمة لابد منها لأن الانسان ابن بيئته كما يقولون ·

ولنستزيد تعرفا على أصبهان نقرأ ما سطرته يد « ياقوت الحموى » فى معجم البلدان ، قال ، قال « مسعد بن مهلهل » : وأصبهان صحيحة الهواء نفيسة الجو ، خالية من جميع الهوام ، لا تبلى الموتى فى تربتها ، ولا تتغير فيها رائحة اللحم ولو بقيت القدر بعد أن تطبخ شهرا ، وربما حفر الانسان حفيرة فيهجم على قبر له ألوف سنين والميت فيه على حاله لم يتغير ، وتربتها أصح تراب الأرض ويبقى التفاح فيها غضا سبع سنين ، ولا تسوس بها الحنطة كما تسوس فى غيرها ، قال « الحموى » : وسألت جماعة من عقلاء أهل أصبهان عما يحكى من بقاء جثة الميت فى مدفنها فذكروا أن ذلك بموضع مخصوص منها ، وهو مدفن المصلى لا فى جميع أرضها .

وعلى كل فهذه مزية يحق لأصفهان أن تفاخر بها .

ولقد وصف « الحجاج بن يوسف الثقفى » هذه المدينة فى عبارة موجزة ، ولكنها جامعة قال لبعض من ولاه أصبهان : قد وليتك بلدة حجرها الكحل وذبابها النحل وحشيشها الزعفران »(١) .

وتقول دائرة المعارف الاسلامية فى ذلك : اصفهان أو اصبهان ، مدينة مشهورة بفارس ، كانت فيما سبق قصبة الصفويين ، وهى الآن أهم مدن ولاية العراق العجمى ، ويقول « حمزة الأصفهانى » : ان اسمها مشتق من الجندية . فتحها الاسلام سنة ١٩ هـ فى خلافة « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه ، بقيادة « عبد الله بن عتبان » فى رواية ، وفى رواية أخرى : ان قائد الفتح هو « أبو موسى الأشعرى » فتحها سنة ٢٣ هـ ، فتحها عقب فتحه نهاوند .

« وقد ازدهرت المدينة فيما بعد ، وأصبحت فى منتصف القرن الثالث الهجرى مدينة هامة وحاضرة اقليم كبير ومركز صناعة

---

(١) معجم البلدان لياقوت ، واخبار اصفهان لابى نعيم بتصرف .

وتجارة ، وأحصى «ابن رستة» الذى عاش هناك وألف كتابا حوالى عام ٢٩٠ هـ أبوابها الأربعة وأبراجها المائة · وقاس « ابن لدة » عالم الهندسة قطرها وكانت مستديرة الشكل ، فوجد أنه يبلغ ستة آلاف ذراع · وزاد « ركن الدولة ابن بويه » من رقعة المدينة ورمم أسوارها التى كانت ماتزال قائمة فى القرن الخامس الهجرى ، وكانت هذه المدينة غنية وبجوارها منـــاجم للفضـــة والنحاس والاثمد والخارصين وغيرها ، وماتزال المدينة تعتمد حتى الآن على الزراعة وبخاصة القطن ، وفى مطلع القرن الرابع الهجرى دخلت هذه المدينة فى حكم « السامانيين » ثم دخلت تحت حكم « محمود الغزنوى » فى أوائل القرن الخامس الهجرى ، ثم أصبحت مقرا مختارا للكشـــاه السلجوقى ، ولم تسلم المدينة من سطوة التتار ، الا أنها لم تدمر كما دمر غيرها من المدن التى استولوا عليها ، ولبثت تحت سيطرتهم حتى استردها « محمد بن المظفر » فى منتصف القرن الثامن الهجرى، ولكنها لم تنج من غضبة « تيمور » فى نهاية هذا القرن حين ثار أهلها عليه سنة ٧٩٠ هـ فنكل بهم وأعمل السيف فى رقابهم حتى كون أهراما من رءوسهم التى بلغت سبعين ألفا ، وخضعت المدينة للعثمانيين سنة ٩٥٥ هـ ، وظلت كذلك حتى حاصـــرها « محمود الأفغانى » عام ١١٣٤ هـ وتعرض أهلها لأهوال بسبب القحط الذى أصابها حتى حررها « نادر شاه » بعد ذلك بسبع سنوات ، وأصبحت قصبة لملك الشاه عباس ، فتحولت الى مدينة فسيحة جميلة مكتظة بالسكان ، ينطبق عليها المثل الفارسى الذى قيل قديما « اصفهان نصف جهان » أى اصفهان نصف العالم ·

ولم يشهد « أبو نعيم » الأحداث التى طرأت على المدينة بعد الثلث الأول من القرن الخامس الهجرى ، ولكنه استطراد دعا اليه التعرف على هذا الموطن الذى عاش فيه أبو نعيم زهاء مائة عام ·

واصفهان ـ كما تقدم ـ تقع على نهر « زندروز » وكان يسمى

قديما « زندة » ويمتاز هذا النهر بأنه غاية فى الطيب والصحة والعذوبة ، وقد وصفه الشعراء

فقال فيه بعضهم :

لست آسى من أصبهان على شىء سوى مائها الرحيق الزلال
ونسيم الصبا ومنخرق الريح وجو صاف على كل حال
ولها الزعفران والعسل الماذى والصافنات تحت الجلال(١) ٠

وقال آخر :

لست آسى من أصبهان على شىء فأبكى عليه عند رحيلى
غير ماء يكون بالمسجد الجامع صاف مروق مبذول

وهى عامرة بالبنايات الفخمة والمناظر الجميلة وبخاصة المساجد ، ومن أجملها مسجد الشاه الذى شيده الشاه « عباس الأول » فى أواخر القرن السادس عشر الميلادى ، ويعتبر من أجمل بنايات العالم ٠

ولئن كان نجم هذه المدينة قد أفل أخيرا بنقل العاصة الى طهران الا أن آثارها الباقية بها ماتزال تشهد بعراقتها وتاريخها المجيد ٠

ولقد وصفها « ياقوت » فى معجمه بأنها من أعلام المدن وأعيانها وذكر فى سبب تسميتها بهذا الاسم فيما يرويه « ابن الكلبى » أنها سميت « باصبهان بن فلوح بن سام بن نوح » عليه السلام ، ويرى « ابن دريد » أن أصبهان اسم مركب ، لأن الأصب اسم البلد بلسان الفرس وهان اسم الفارس ، فكأنه يقال بلاد الفرسان ، أما « حمزة ابن الحسن » فيقول : ان اصبهان مشتق من الجندية ، وذلك أن لفظ

---

(١) معجم البلدان لياقون .

أصبهان اذا رد الى اسمه بالفارسية كان « أسباهان » وهى جمع أسباه ، فأسباه اسم للجند والكلب ، واشتركا فى الاسم لاشتراكهما فى الحراسة ، وقال « ابن حمزة » فى اشتقاق اسم اصبهان حديثا يلهج به عوام الناس وخواصهم · قال : أصله أسباه آن أى جند الله ، قالوا : ولم يكن يحمل لواء ملوك الفرس من آل ساسان الا أهل اصفهان ·

فليس عجيبا أن يبزغ فى أفق هذه المدينة العـــريقة كثير من العلماء والأدباء والشعراء والصالحين ، حتى لقد اعتنت كتب التاريخ والتراجم بذكر العديد منهم والترجمة لهم ·

قال « ياقوت » : وقد خرج من أصبهان من العلماء والأئمة فى كل فن ما لم يخرج من مدينة من المدن ، وعلى الخصـــوص علو الاسناد ، فان أعمار هؤلاء تطول ، ولهم مع ذلك عناية وافرة بسماع الحديث ، وبها من الحفاظ خلق لا يحصون ، ولها عدة تواريخ ·

ولكن المدينة يحق لها أن تزهو بشخصيتين لهما أثرهما الذى لا ينكر ··

أما أحدهما فهو « أبو الفرج الأصفهانى » صـــاحب كتاب « الأغانى » ·

وأما الآخر فهو « أبو نعيم الأصفهانى » صاحب كتاب « حلية الأولياء » ·

وكأن المدينة تريد أن تشهد التاريخ على قدرتها فى تخريج كل فذ ونبوغها فى كل فن · فقدمت « أبا الفرج » الذى تحدث عن الدنيا من خلال بهجتها وأبان عن وجه السرور فيها وجانب المرح منها ، فى صورة مائة لحن أعجبته وأطربته ، ونفذ من بين ذلك الى اظهار علمه بالأخبار ومعرفته بالأنساب وروايته للأشعار والطرف والنوادر والأعلام حتى جاء كتابه موسوعة أدبية رائعة ، لا تستغنى عنها

مكتبة من المكتبات أو أديب من الأدباء ، ومازال كتاب « الأغانى منبعا ثرا لكل قارىء ، يشـــهد الدنيا على مقدرة مؤلفه فى فنه واستطالته فى أدبه وتمكنه فى علمه ، ويدل على ذلك كثرة تداوله ، وتكرر اعادة طبعه وتحقيقه ، وتضاعف التعليقات الجمة عليه ، ويكفى أن نقدم فى الشهادة له كلمة « الصاحب بن عباد » حين بلغه أن « سيف الدولة الحمدانى » بذل ألف دينار لأبى الفرج حين أهداه نسخته من الأغانى ، فقد قال « الصاحب » : لقد قصر « ســـيف الدولة » وانه ليستحق أضعافها ، اذ كان مشحونا بالمحاسن المنتخبة والفقر الغريبة ، فهو للزاهد فكاهة وللعالم مادة وزيادة وللكاتب والمتأدب بضاعة وتجارة وللبطل رجلة وشجاعة وللمتظرف رياضة وصناعة وللملك طيبة ولذاذة ، ولقد اشتملت خزانتى على مائة ألف وسبعة عشر ألف مجلد ما فيها سميرى غيره ، ولقد عنيت بامتحانه فى أخبار العرب وغيرهم فوجدت جميع ما يعزب عن أســـماع من قرفه(١) بذلك ، وقد أورده العلماء فى كتبهم ففاز بالسبق فى جمعه وحسن وضعه وتأليفه »(٢) ٠

هذا نتاج المدينة فى أحد وجهى الحياة ، أما الوجه الآخر منها فقد كان فى شخصية ذلك العالم الزاهد الورع المحدث أبى نعيم الأصفهانى الذى كان له حول وطول فى مختلف فنون العلم ، وتصرف جيد فى جد الحياة لا هزلها ، مما سنعرف ـ بتوفيق الله ـ طرفا منه فى سطور هذا البحث ٠

ولكن الاستشهاد بهذين العلمين على مكانة المدينة لا يعفى من الاشارة الى بعض أعلامها الذين تركوا آثارا طيبة فى أفق الحياة ،

---

(١) قرفـه : اتهمـه .

(٢) مقدمة كتاب الأغانى تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ط الهيئـة المصرية للكتاب .

بل من الاكرام لأبى نعيم الذى دون حلية الأولياء وأخبار أصفهان وغيرهما أن نشير على سبيل الايجاز الى بعض من أنجبتهم هذه المدينة الذائعة الصيت ٠

ولئن كانت بعض البلاد شهرت بالمنتسبين اليها ـ فان القرى والمدن والعواصـــم تنجب كما ينجب الناس وتعقم كما يعقمون ، وأحيانا تكون فى انجابها فلتة يعتز بها الزمن وتحنى لها الدنيا قامتها اجلالا واكبارا ويصبح هؤلاء الآبناء غرة فى جبين قراهم ومدنهم تضىء بهم وتشهد بفضلهم وتخلد بخلودهم وتذكر بذكرهم ، ولولا «المعرى » ما ذكرت « المعرة » ، و « بصفى الدين الحلى » أضاءت « الحلة » فى العراق ، وخلد « القلقشندى » قريته « قلقشندة » فى مصر ، كما خلد « ابن دراج القسطلى » « قسطلة » الأندلس ، وذاع صيت « مرسية » فى الأندلس أيضا حين نبغ منها « أبو العباس المرسى » رضى الله عنه ، وأشاد الامام « عبد الوهاب الشعرانى » بقريته « ساقية أبى شعره » من أعمال المنوفية حين ذكرت به ، وتحول النسب الى علم مشهور ، فكم من الناس من يتسمى «بمرسى» أو يتسمى « بشعراوى » وهكذا ، والأمثلة على ذلك كثير ٠

أعود فأقول : لئن كانت بعض البلاد تشهر بالمنتسبين اليها فقد كانت « أصبهان » كفئا لهذا النسب الذى زادها اشراقا على اشراق وأضـــاف الى محاســـنها حســـنا آخر هى جديرة به ، فلقد كانت كما سبق أن رأينا درة فى تاريخ فارس وجوهرة فى تاج العراق العجمى ، وآن الآن أن نستعرض بعض من لمعوا فى سمائها استجابة لنداء البيئة الأصيل ونتاجا للقاح المجد النبيل ٠

فمن هؤلاء « جمال الدين الجواد الأصفهانى الوزير » وقد ذكره « ابن خلكان » فى « وفيات الأعيان » وترجم له ترجمة ضافية نقتطف منها ما يأتى :

اسمه « محمد بن على بن أبى منصور » ولقبه جمال الدين ، وكنيته أبو جعفر ٠

عنى أبوه الذى تولى عدة مناصب شريفة فى بلاط السلطان «ملكشاه » السلجوقى بتربيته وتأديبه حتى ظهرت كفايته وحمدت طريقته وأوصله ذلك الى الوزارة فى عهد « سيف الدين غازى بن آتابك زنكى » ٠

وقد ظهر جوده حتى لقب بالجواد وصار ذلك اللقب علما عليه، وقصده الشعراء ومدحوه ، وله آثار طيبة فى التعمير ، وبخاصة فيما يتعلق بالأماكن المقدسة ، فقد أجرى الماء الى عرفات أيام الموسم من مكان بعيد ، وعمل الدرج من أسفل الجبل الى أعلاه ، وبنى سور مدينة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ توفى سنة تسع وخمسين وخمسمائة فى العشر الأواخر من رمضان بالموصل ، وقيل ان جثمانه نقل الى مكة ثم الى المدينة ليدفن هناك فى احتفال مهيب ٠

وقال بعض الشعراء فى ذلك :

يا كعبة الاسلام هذا الذى جاءك يسعى كعبة الجود
قصدت فى العام وهذا الذى لم يخل يوما غير مقصود

كما قال غيره :

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما
سرى جوده فوق الركاب ونائله
يمر على الوادى فتثنى رماله
عليه وبالنادى فتبكى أرامله

ومنهم « عماد الدين الكاتب الأصفهانى » وهو كما ترجمت له « الوفيات » فى الجزء الثانى « أبو عبد الله محمد بن صفى الدين أبى الفرج بن نفيس الدين أبى الرجا حامد بن محمد » ٠

كان فقيها شافعيا تفقه بالمدرسة النظامية زمانا ، واتقن فنون الأدب وله من الشعر والرسائل ما يغنى عن الاطالة فى شرحه ٠ نشأ بأصبهان وقدم « بغداد » فى حداثته ، وتلقى على يد شـــيوخها فى مختلف العلوم والفنون ، تعلق بالوزير « عون الدين يحيى بن هبيرة » ببغداد فولاه النظر بالبصرة ثم بواسط ، ثم انتقل الى « دمشق » سنة اثنتين وستين وخمسمائة فى عهد السلطان العادل « نور الدين محمود بن أتابك » فأحسن اليه وأكرمه وأهله لكتابة الانشاء ، ثم انتظم فى سلك جماعة « صلاح الدين الأيوبى » بعد ذلك حتى صار من جملة الصدور المعدودين يضاهى الوزراء ويجرى فى مضمارهم ، له مؤلفات ناجحة أشهرها كتاب « خريدة القصر وجريدة العصر » جعله ذيلا على « زينة دمية الدهر للخطيرى » وقد ذكر « العماد » فى خريدته الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة الى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وجمع شعراء العراق والعجم والشام والجزيرة ومصر والمغرب ، ولم يترك أحدا الا النادر الخامل ، وهى فى عشر مجلدات ٠

كما صنف كتاب « البرق الشامى » سبعة مجلدات فى التاريخ ٠

وصنف كتاب « الفتح القدسى فى الفتح القدسى » فى مجلدين يتضمن كيفية فتح بيت المقدس ٠ الى غير ذلك من الكتب العديدة التى تشهد بفضله وسبقه ٠

وكانت بينه وبين القاضى الفاضل مكاتبات ومحاورات لطاف ، فمن ذلك ما يحكى عنه أنه لقيه يوما وهو راكب على فرس فقال له : سر فلا كبابك الفرس ٠ فقال له القاضى الفاضل : دام علا العماد ٠ وهذان التعبيران مما يقرأ مقلوبا وصحيحا سواء ٠